

سلوكيات محبي الله عز وجل



من المؤكد أنَّ الحب هو الحب، وأن ما يصيب محبي الله هو عينه ما يصيب سواهم من المحبين مع الفارق المتعلق بشخص الحبيب. فالمحب لا يظهر الخشوع والتذلل، والخوف من فقدان رضاه وإغضابه، وهنا تجدر الملاحظة أنَّ المحب لا يخاف من الله باعتبار عذابه للعاصين في النار بقدر ما يخاف من إغضابه سبحانه وخسارة حبه. كما وتظهر على محبي الله مظاهر الطاعة، والزهد بما سواه، وهذه الخصال وإن كانت سلبية بما لا يتسع المقام إلى توضيحه - باعتبار غلبة عنصر الجذب العاطفي على عنصر الفعل الإرادي الاختياري - فإنَّها بالنسبة للحب الإلهي هي محض الإيجابية، وهي عين الصلاح للشخصية الإنسانية، ويعود ذلك لأسباب عديدة أهمها اثنان: الأول: هو أن طاعة الله في أوامره ونواهيه تؤدي إلى سعادة الإنسان، لأنَّ الله بحكمته سبحانه وتعالى أمر بما هو خير ومصلحة للإنسان ونهى عما هو شر وفساد له. الثاني: هو أن حب الله لا يغطي على عقل الإنسان لأن كل ما يأمر به الله يأمر به العقل السوي ويتناغم مع الإرادة الواعية، فحب الله الباعث على طاعته سبحانه وتعالى لا يخلق لدى الإنسان حالة من التعارض بين ما هو عقلائي واعٍ وإرادي وبين ما هو عاطفي وميل مزاجي... وهذا يؤدي إلى انتعاش الجانب الواعي للإنسان كلما أمعن في طاعة الله، حتى إنَّ الإنسان لا يلبث أن يشعر بأنَّ الله يقذف النور في بصيرته كما يقذف المحبة بطعمها الذي لا يجاربه طعم في قلبه. ومن هنا ننطلق للتعرف عن قرب على صفات وخصال المحبين سبحانه وتعالى. - أوَّلاً: الخوف من الله وحده: الخوف حالة إيجابية أوجدها الباري وأرساها في الإنسان حتى يحفظ نفسه من الهلكة

والمرض والضياع، إلا أنَّ الخوف يختلف عن الجبن، ولذلك نقول هناك نوعان من الخوف، هناك خوف حذر، وخوف جبن. وعندما تقول الآية عن نبي ا﷑ موسى (ع): (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (القصص/ 21)، فإنَّه سبحانه يخبرنا عن الخوف الترقبي عند نبي ا﷑ موسى (ع) وهو خوف الحذر. والخوف الترقبي يسيطر هنا لا الخوف الانهياري والانهازم الاستسلامي الجبان، لا خوف الصامتين والناثمين والخاضعين والخانعين بل خوف الكافرين بالطاغوت والثائرين في وجه جالوت، والناطقين في مجالس فرعون وهؤلاء لا يخافون إلا من ا﷑ سبحانه وتعالى. الحديث يقول: "من خاف ا﷑ أخاف ا﷑ منه كل شيء، ومن لم يخف ا﷑ أخافه ا﷑ من كل شيء"... وبهذا المعنى يمكن أن نعثر على ثلاثة أنواع من الخوف الأخرى: الأول: خوف من عقوبة ا﷑ الثاني: خوف من فقدان ثواب ا﷑ الثالث: خوف من نظر ا﷑ وإطلاعه على قبح العمل (خشية الحياء). من جانب آخر فإن تعظيم ا﷑ سبحانه وتعالى في قلب العبد يورث القلب الحياء من ا﷑، والهيبة له، فيبدأ الإنسان يستحي من ربه... تماماً كما يستحي من أبيه أو أمه إذا اقترب ما بغضبهما، مع الفارق في المقام والاعتبار، ولذا فإنَّ الخائف من ا﷑ حذر وليس جبناً، فهو لا يخاف النهوض والقيام والجهاد والنطق والحركة والناس، ولكنه يخاف أن يقصّر، أو لا يؤدي ما عليه بشكل تام وهكذا... ولكن البعض منا يخاف الناس أكثر ما يخاف ا﷑!!! يخاف أن يراه الناس في مرقص، ولا يخاف أن يراه ا﷑!!! كأن ا﷑ لا يرى! يخاف من لوم الصامتين إذا نطق بالحق! إنَّ المجموعة التي تواجه الصمت وتريد النطق والبوح بكلمة ا﷑ والتعريض بكلمة الشيطان، والفئة المؤمنة التي تحمل حقيبة الإصلاح الاجتماعي والسياسي والثقافي في أمة ا﷑، والطليلة المجاهدة التي تضع على عاتقها التصدي لتغيير الواقع، الذي تراه كما تراه النخب الواعية فاسداً؛ مطالبة بأن تكفر بحالات الخوف المرضية التي توصل الجبن والمكوث والدعة واليأس والاستسلام. - ثانياً: الطاعة في رحاب ا﷑: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (آل عمران/ 31-32). إنَّ المحب لمن يحب مطيع، وروح المحب تعيش في جسم من يحب، فالحب كالحرب من السهل أن تشعلها... ومن الصعب أن تخمدتها، والطاعة هي آية التسليم المطلق والخضوع الكلي، وهي نتاج التوحيد في العبودية والربوبية والمحبة والحاكمية، وتم الطاعة من خلال الالتزام بتطبيق البرنامج الإلهي الذي يمثل مجموعة الأوامر والتكاليف، والتي تشمل كل جوانب وأبعاد حياة الإنسان ويطلق عليها اسم الشريعة. وطاعة ا﷑ لها وجهان: أوّلاً: امتثال الأوامر الإلهية والعمل للإتيان بالواجبات. الثاني: امتثال النواهي الإلهية والعمل لترك المحرمات. وهذا هو الحد الأدنى المطلوب من الإنسان الالتزام

به، ويسمى: (التقوى)، وقد جاء في تعريف التقوى عن الإمام الصادق (ع): "أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يجدك حيث نهاك" وهذا هو بعينه قوله عليه السلام: "التقوى ذكر الله عندما أحل وحرّم، فإن كان طاعة عمل بها وإن كان معصية تركها". - ثالثاً: الزهد فيما سوى الله: الزهد هو ملكة الإعراض عن الدنيا وعدم تعلق القلب بها فالمحب لله سبحانه يتعلق قلبه بالله، ويعرض عما سواه، ونظر التفاوت شخصيات الناس نجد أن "الزهد مراتب ويمكن أن نذكر منها: أولاً: الزهد عن حرام الدنيا. ثانياً: الزهد عن حلال الدنيا - المباح والمكروه قال تعالى: (لِيَكَيْدٍ لَّا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) (الحديد/ 23)، وقال (لِيَكَيْدٍ لَّا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ) (آل عمران/ 153).

فمن الواضح أنَّهُ إذا لم يتعلق القلب بشيء لم يتأثر بالحزن عند فوته، ولا بالفرح عند حصوله، وليس المقصود بالزهد في الدنيا رفضها، فقد كان سليمان وداود - عليهما السلام - من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك ما لم ينبغي لأحد في زمانهما. وليس الزهد - كما ورد عن أهل الحكمة - أن لا تملك شيئاً، ولكن أن لا يملكك شيء؟! وقد يكون الملك من متطلبات المهمة التي يقع تكليفها على العبد، وعليه أن يقوم بها، ولكن المحب لله والزاهد فيما سواه مع أنه يمتلك من الدنيا ما يمكنه من أداء دوره ولكنه لا يمكنه ما دام قلبه متعلقاً بحب الله أن يتعلق قلبه بما يملك، فهو دائماً طاعن مستعد للسفر إلى الله. قال الإمام الصادق (ع): "إن القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو". - كيف تكون عبادة المحب؟ صلاته وصومه؟ المحب يحب الصلاة! المحب يرتاح بالصلاة! المحب ينتظر موعد اللقاء مع الله! المحب يعطر نفسه للصلاة! المحب يقرأ الآيات بقلبه ولسانه... والمحب يصوم فكره عن ما دون الله ويصوم قلبه عن ما دون الله. فصوم الناس هو صوم الطعام والشراب أما صوم المخلصين فهو صوم القلب عن النوايا الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية، فهو انصراف عن غير الله إليه سبحانه وتعالى، تلبساً بمعنى قوله عز وجل: (قُلِ اللَّاهُ ثُمَّ ذَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) (الأنعام/ 91)، فبال تفكير بالأمور الدنيوية الدنية إدخال لغير الله في حرمه ومن دون إذنه. قال الإمام الصادق (ع): "القلوب حرم الله فلا تدخلوا حرم الله غير الله". - ما هو سلوك الإنسان المحب: خشونة أم رقة؟ قال تعالى: (وَلَوْ كُنْتُمْ فَطًّٰرًا غَلِيظًا لَّغَلِيظَ الْقُلُوبِ لَنَزَفْنَا مِنْكُمْ خَوَٰلِكَ فَأَعْفُوا عَنْهُمْ) (وَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران/ 159). فغلظة القلب تؤدي إلى الانفضاض والآية تدعو الرسول إلى العفو عنهم والاستغفار لهم ومشاورتهم، فما رقة قلبه عز وجل، إلا كان صاحبه سابقاً إلى الخيرات، مشمراً في الطاعات، وساعياً لبرهنة عشق الله على أرض الواقع بأعلى الصور وأروع الطرق... وما رقة قلبه عز وجل وانكسر إلا وجدته أحرص ما يكون على طاعة الله ومحبة الله، فما ذكرك إلا تذكر، ولا تبصّر إلا تبصّر، وقلب

يتألم عندما يرى حكم الله يكسرها؛ هو قلب ينزف مشاعره بدل الدم عندما يرى الاستكبار يبش بامة الله؛ وهو قلب يبكي انحراف البشرية عن خط الفطرة بحرقه وألم... وما دخلت الرقة إلى القلب إلا وجدته مطمئناً لذكر الله يلهج بذكر الله تعالى... " واجعل لساني بذكرك لهجا... لسانا يتفنن في بلاغة شكر الله والثناء عليه سبحانه وتعالى. القلب الشفاف الرقيق أبعد ما يكون عن معاصي الله عز وجل. فالقلب الرقيق قلب ذليل أمام عظمة الله، وقد ورد أن: "قلب المؤمن دليله"... لكن أي قلب.. هو القلب الذي رق... هو القلب الذي يصنع الدموع الجارية... هو القلب الذي يحفر عبارة أحبك يا الله على الوجنتين... هو القلب الذي يذوب عشفاً في معشوقه الأوحده. - ما هي نظرة المحب للأمور: وتقديره وحكمه على الأشياء تتجلى نظرة المحب للأشياء من خلال عدة عناوين: - التسديد الإلهي: يرى المحب نفسه موظفاً في المشروع الإلهي المقدس، ويرى نفسه مسؤولاً عن تطبيق حكم الله، وهو يا يبالي من أي شيء، حتى لو وقع الموت عليه، أو هو وقع هو على الموت، فالمحب تهون عليه الدنيا ببلائها، لأنّه يعلم أن الله يسمع ويرى وهو بكل شيء عليم، والمحب يتوكل على الله ولا يتوكل عليه... وهو يستشعر معية الله أينما كان... ونحن لدينا في القرآن الكريم ما يدل على الصفة الرقابية: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَتَىٰ نَمًا كُنْتُمْ) (الحديد/ 4)، والصفة التسديدية: (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة/ 249). والمحب يؤمن بالمدد الغيبي وتتنزل السكينة في قلبه فينتقل من منطلق التكليف ويبحث عن الفلاح أكثر من بحثه عن النجاح، والفلاح هو نجاح الدنيا والآخرة، أمّا النجاح فهو في الدنيا فقط. والمحب أولاً وأخيراً يرى أن المهم أن يكون مع الله وعند الله. (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) (التحریم/ 11). (مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلَائِكٍ مُّقْتَدِرٍ) (القمر/ 55). المصدر: كتاب الحب والجمال